القصص

نشيد الكرنك

للاستاذ محمد فريد ابو حديد

لقد كانت أياما مليئة بالحياة . جادها الغيث اذا الغيث همى

جلسنا بعد سير طويل عند مدخل البهو ذى الاعمدة ، وأخذ بعض الرفقة يطفون اوتار المزهر والكمان والعانون فترتفع مقاطعها المتآلفة المتناسقة بأحسن الانغام واطيب الالحان ثم تجاوبت الاصداء العجيبة من نواحى ذلك البهو الفسيح ، فاذا الجو حوله يطن بأمواج مختلفة القوة من أصوات عذبة ساحرة ، واستلقيت على مسافة من الجمع اذ كنت من أكثرهم تعبا ، ولكنى وأن عزيت عن الضجة والصخب لم تفتنى نفحات الموسيقى الحلوة وقد صفاها البعد ونقاها

وفيما انا كذلك اذا بى وقد تمثلت ذلك الهيكل منذ كان فى شبابه ، ورونقه ، وقد قامت فيه الاعمدة باسقة تحمل تيجانها النيلوفرية وتكسوها النقوش البديعة الذهبية ، وفى مداخلها المسلات النحيلة الرشيقة تلمع رؤوسها النحاسية فى ضوء الشمس المائلة الى الغروب ، ثم تمثلت منظر الهيكل يوم عيد عظيم وقد ازدحم بالكهنة يصطفون للقاء فرعون وهم ينشدون نشيد الترحيب والتكريم ، حتى اذا ما أقبل خروا الى الارض ركعا لابن الاله وسليل حوريس

فخيل الى وأنا وسط هذه التأملات ان ذلك الصوت المنبعث الى آذانى من موسيقى اصدقائى هو صوت هؤلاء الكهنة يتردد بين جدران المعبد القائم الجديد . وغرقت فى خيالى واذا بى وقد لف الظلام ماحولى . واذا بى ارى من خلال الظلام عالما سحريا عجيبا ينتشر من بين هذه الاطلال الهرمة :

رأيت (فرعون) مقبلا يحمل فى يمناه عصا مذهبة وعلى رأسه تاج تحف به من أسفله الحية الملكية

فخر الوقوف ساجدين وتعالت فى جنبات المعبد أصداء موسيقى بديعة للنشيد الملكى وألقى فى روعى ان معناه

لاح حورماخيس ملأ الارض بأنوار الصباح

يا ابن أوزيريس روحك الاقدس من روح بتاح

وكان (فرعون) نحيل الجسم قصير العود تعلو وجهه الاسمر صفرة كصفرة الترجسة الذابلة . ولما رأيته وتبينت ملامحه لم أملك نفسى ان صحت صيحة مكتومة قائلا . (أتعرف توت عنخ آمون ؟) اذ كان صاحب الصورة التى الفنا رؤيتها منذ كشفت المقبرة المشهورة .

وقد كان المنظر الذى حولى يدعونى الى الخشوع والرهبة ، غير أنى مع ذلك وجدت من نفسى كبراً أن أسجد لمخلوق ، فلم أسجد مع الساجدين ، وكنت أخشى أن يمسنى من ذلك سوء . غير أنى تعجبت إذ رأيت الحاضرين لم يزعجهم ذلك بل كأنهم لم يلحظوا شيئاً .

فتجرأت وقمت أسير وراء موكب الملك بين صفوف المقربين وهامات رجال الجيش وكبار الكهنة .

وسار (فرعون) فى سبيل مرسومة الى ان بلغ قدس الاقداس خلال الاغصان الملتفة والاوراق المتعانقة المتراقصة . كأنها الرقراق من جدول يجرى بعد الترويق ، أو النسيم يسرى من تعدد المسارب والثنيات ، فكانت اذ بلغتنى تتوارد هينة مصقولة

تصحيح

جاء فى مقالة (ملك البكلاه) المنشورة فى العدد الماضى ص ١٠٧ عمود ٢ سطر ٥ (تحليله وتقديره) والصواب (تخليله وتقديده) وفى ص ١٠٧ أيضا عمود ٢ س ١١ (٠ و٧٥) والصواب (٤٠ و ٧٥) وفى ص ١٠٨ ع ٢ س ١ (متحفوة صغيرة ومن الطرايات) والصواب ومن الطحالب .

فتخلف عنه القواد وستجدوا إيذانا بالوقوف عند حد الحرم الممنوع، ولكني دخلت وراء الموكب ولم يبق فيه الا الملك والكاهن الأعظم وبعض كبار الكهنة يحملون فى أيديهم هدايا الملك الى إله طيبة الاعظم (آمون) . فلما أن بلغوا المذبح وضعوا ما بأيديهم وانحنوا إجلالا ، ثم وضعوا البخور فى المجامر وعلا صوتهم بنشيد قدس الأقداس :

آمون بارك سليل العلا ومن فيه يجرى دم الاقدسين .

ولكنهم وقفوا حيث انتهى بهم السير، ودخل الملك وحده الى الحرم الاقدس يتبعه الكاهن الاعظم ، فترددت قليلا ثم عاودتنى الجرأة فسرت وراء الملك الى قلب ذلك المكان المحرم، ولكنى عجبت اذ لم يمنعنى أحد ولم تلتفت الى عين . ولقد راعنى الامر وهالنى مخافة أن أكون أقدمت على انتهاك حرمة جزاء الاعتداء عليها الهلاك . فقد كنت أعرف ان ذلك الحرم لا يحل دخوله الا للملك ولرئيس الكهنة ، وان الموت هو العقاب لمن يدخله من غيرهما . غير أنى مع ذلك لم ألو على شىء ، بل سرت قدما وسط الظلام الدامس الذى لا تضىء فيه الا ذبالة ضئيلة فى زجاجة حمراء لا يكاد الانسان يتبين فيها إلا أشباحا كانها الظلال المتحركة

ولما صار الملك هناك وحده مع الكاهن ، أقول وحده لأن كل الادلة تدل على أنه لم يلحظ وجودى — استلقى على مقعد استلقاء المجهد السقيم وأن أنة المتوجع المكلوم.

وسمعت صوت الكاهن الهادىء يخترق ذلك الظلام بنبرات خفية متزنة ولست اذكر التفاصيل ولكنى كنت افهم ما أسمع بالهام عجيب : قال (أى بنى ! شملتك رحمة آمون)

فصاح الملك صيحة مكبوتة (ايها الشيخ ! نحن هنا وحدنا)

فقال الكاهن (أعرف ذلك ولهذا أطلب لك رحمة آمون)

فقال الملك بالصيحة ذاتها (ليتنى كنت لا أعرف ! ليتنى كنت أستطيع أن أصدق !)

فقال الكاهن (اى بنى ! انك لازلت شابا وقد يغتفر للشاب أن يشك احيانا)

فصاح الملك (اشك ؟ انى لا اشك . إنما أدلى عن حقيدة . فماذا يكون لتمثال مصنوع من الذهب فى قلبى من الاحترام ؟)

فقال الكاهن بلهجة مرة (ولكنك ملك .

واذا كنت لا تستطيع ان تصدق فعليك ان تصدق .)

فقال الملك محتدا (ماذا أصدق ؟

هل أصدق أن آمون إله يرحم ، أو جبار ينتقم ؟ نحن هنا وحدنا فلا بأس أن تقول الحقيقة مجردة ليس آمون هو الذى يتطلب منى الايمان والخضوع بل هو (آى) الكاهن الأعظم وليس هو آمون الذى يرضى ان يسخط بل هم الكهنة الذين يحملون رمزه ويقومون على سدانة تمثاله الأخرس . هم كهنة آمون الذين يطاعون منى الخضوع والعبادة) فقال الكاهن بهدوء (ثم ماذا ؟) فقال الملك (ومع ذلك فقد كنت صريحا مع نفسى ورضيت بتغيير اسمى من (توت عنخ آتون) الى (توت عنخ آمون) فتركت الاله القادر الواحد وآمنت بالله مزيف وانا عالم بانى إنما أومن بإله مزيف لكى أضل وأزيف

فقاطعه الكاهن وقد غلب الغضب على هدوئه وسخريته المرة قائلا :

« حسبك ياساكاى ؛ فصاح الملك « ساكاى ! »

فاجاب (آى) « نعم ساكاى . انك لا تمت الى الملوك الا بصلة النسب والاعتقاد . وقد بطل ذلك الاعتقاد الفاسد فى إلهك (آتون) منذ مات ذلك المجرم الذى كان يحكم فى (آخاتاتون) واما علاقة النسب فمن السهل البحث عن علاقة اقوى منها وأجدر بالملك »

وعند ذلك لاح شبح الملك وهو ينهض غاضبا ويرفع رأسه متحديا . ولكنه لم يقل كلمة واحدة بل بقى واقفا وصدره يزدحم بانفاسه . ونهض الكاهن كذلك ووقف امامه واستمر فى قوله، وكان فى حماسته يحرك رأسه ولحيته الطويلة بشىء من العنف ويرفع رأسه عاليا مع ما فى ظهره من انحناء الشيخوخة : قال « لا تغضب من الحق، وان شئت ان تغضب ففكر فى العاقبة قبل ان تخطو فى سبيلك خطوة واحدة . انى احذر . انى انذر . والبلاد كما ترى فى أشد حالات الاضطراب والفوضى . وقد صارت كالنسر المجرد من ريشه او الأسد الذى قلت اظفاره . »

فعاد الملك الى مقعده وأن أنة أخرى اعمق من الأولى واشد مرارة ثم استمر الكاهن فقال :

« ومع ذلك فاسمع قصة قصيرة قد تكون مغنية عن قول كثير. انا نحتفل اليوم بعيد اختيار آمون لجد زوجتك الملكية ، الملك تحوتمس الثالث . ولقد كان ذلك الملك العظيم كما تعرف غير مرشح للملك لأنه ابن حظية لا تجرى فى أمه دماء الآلهة . ولكن آمون رضى عنه ومال اليه فى أول دورة، ووقف أمامه فى يوم احتفال كهذا : فاظهر بذلك ارتياحه اليه وصار الملك من ذلك اليوم اليه، فنحى أبوه عن الملك وتنحى أخوه بل لقد تنحت اخته نفسها وهى التى تجرى فى عروقها دماء الآلهة . اتعرف ، هذا ؟ »

فتمتم توت عنخ قائلا « نعم . اعرفه » فقال الكاهن « واذن فلك الخيار . سأقول اليوم كلمتى اذا ما خرجنا من هنا على مسمع من

ورجال الدولة والكهنة والامراء . واذا شئت فارفض ماأقول »

قال هذا ثم نهض رافعا رأسه واتبعه الملك الصغير مطاطئ الرأس حزينا ولما مر (توت عنخ) على مقربة مني وقعت على وجهه شعاعة من ضوء الدبالة فاذا على وجنته دمعة تترقرق وتلمع في الضوء الخافت

ولما بلغ الكاهن الاعظم مكان المحراب عرج عليه لكي يؤدي فرضا من الفروض المرسومة والقى بعض البخور في المجامر المتقدة ثم سار وراء الملك حتى بلغا الفناء الفسيح في وسط الهيكل، وكان هناك الحشد الحافل من أهل الدولة والكهنة والقواد والامراء. فخروا جميعا للاذقان سجدا يتلقون الملك والكاهن الاعظم، ثم جلس الملك على عرش منصوب في الصدر ، وقام الكاهن الاعظم فألقى كلمة قصيرة قال فيها :

« أيها القواد العظام والامراء الكرام ! لقد دخل الملك العظيم ابن الآلهة الى قدس الأقداس وتجلت له اسرار آمون وظهر من ايمانه وبره ماجعل إلاله العظيم يتجلى له . ولكن تجلي آمون للملك العظيم . فالشكر لآمون »

فسجد الجميع ،مرة اخرى. وقام الملك سائرا نحو الكاهن الاعظم. وكانت خطاه مترددة مضطربة . ثم قال بصوت مختنق متهدج « المجد لآمون » فعلت عنا ذلك ضجة من الجمع الخاشع كأنها ضجة التهليل والتسبيح .

وارتفع صوت الكهنة بنشيد الملك :

(لاح حود ماخيس ، يملأ الارض بأنوار الصباح) ثم حول الكهنة تمثال آمون الذهبي وداروا به حول الفناء أمام الحضور حتى أتوا أمام عرش الملك فوقفوا وأقبل التمثال محمولا على الاعناق لكي يبارك الملك المحبوب المؤمن

لقد تجلى آمون (لتوت عنخ) ورضي عنه لما في قلبه من الايمان، وقام الملك بعد ذلك يتعثر في مشيته وقد زاد وجهه شحوبا على شحوبه وغارت عيناه وترددت فيهما قطرات تكاد تعشيهما . وعند ذلك علا صوت الكهنة مرة أخرى بنشيد

« آمون بارك سليل العلا »

فتجاوبت به الاصداء بين جدران المعبد وتماوجت نغماته كأن يصنعها يفنى كما تفنى الموجة اذا انتهت دائرتها وبلغت مداها وتجددت من أعقابها موجة أخرى لا تلبث أن تبلغ مداها

وعند ذلك انجلى الظلام وأسفر المنظر فاذا باخواني ينشدون نشيدهم على آلات الكمان والعود والقانون . واذا بي لازلت منتحيا منهم ناحية راقدا على جانب حجر مكتوب الصفحات .

محمد فريد ابو حديد

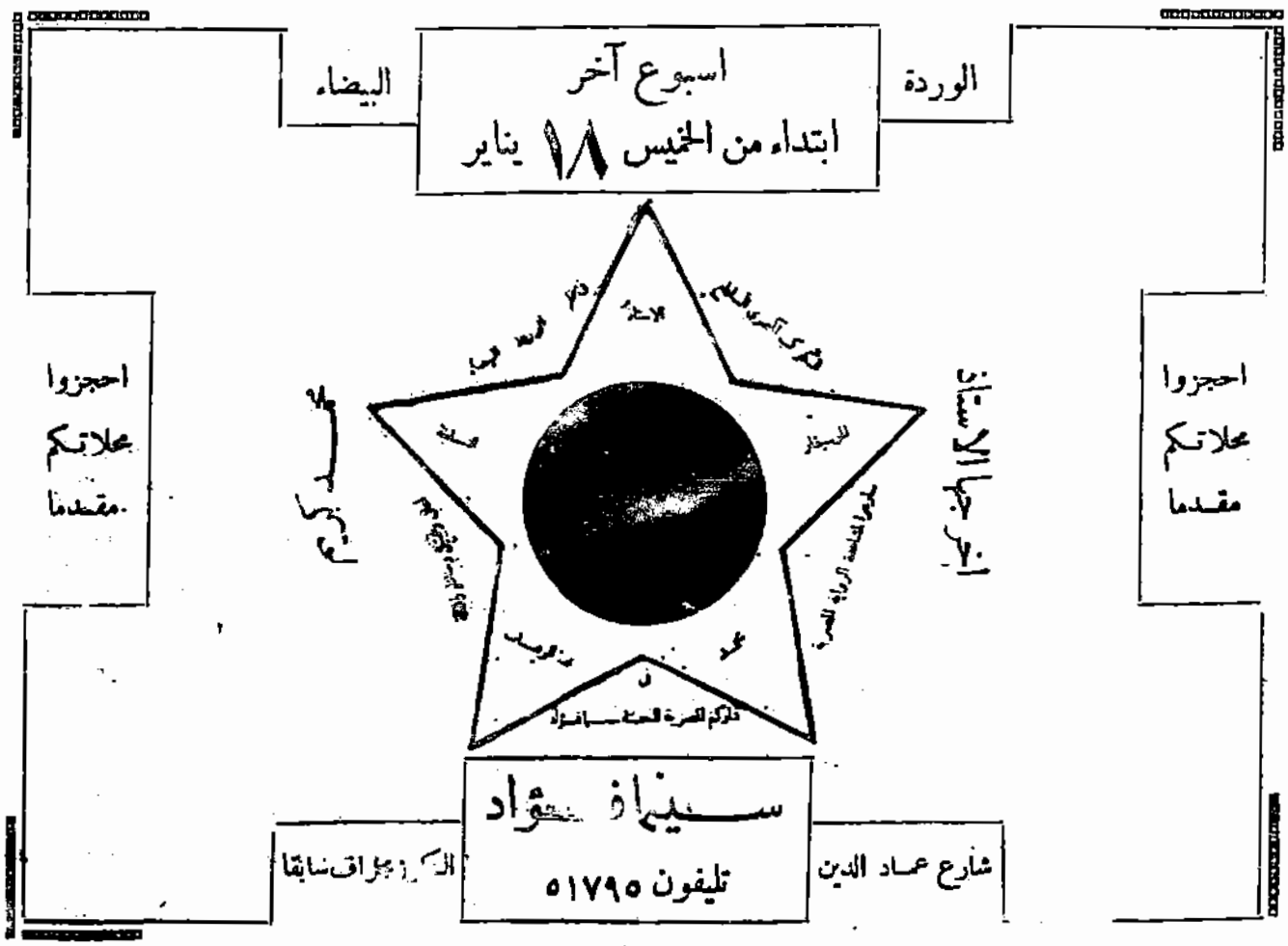

من أحاديث العيد

(بقية المنشور على صفحة ٤)

اليوم الثقيل الذى شيعت فيه فقيدين عزيزين فى أقل من ساعتين .

بهذا وأمثاله كنت اتحدث الى نفسى أيام العيد ، فاذا سألتنى عما كنت اتحدث فيه إلى الناس وعما كان الناس يتحدثون فيه الى حين كنا نلتقى ، فيالليؤس ! ويالفقر ويالشقاء ! ويالجدب الحياة وافلاس الاحياء ، كنا نتحدث عن الازمة المالية ، وكنا نتحدث عن السياسة ، وكنا نتحدث عن غدو المندوب السامى مع الطير يوم العيد ومايحيط بغدوه ذلك من اسرار واخبار ومن تاويل وتعليل . ثم كنا نتحدث عن بعض هذه الاشياء الممتازة التى ظفرت باحاديث الناس وشغل الصحف وعناية رجال الامن : كنا نتحدث عن ذلك الخاتم الذى اضطرب له رجال الامن وعطلت له دار من دور التجارة ، واتصل حوله تحقيق طويل دقيق ولم تبح صحيفة مصرية عربية او غير عربية لنفسها ان تعرض عنه أو تطوى اخباره عن قرائها ، ثم اصبح الناس يوم العيد فاذا الصحف تنبئهم بأن سيدة قد التقطته أمام مدرسة من المدارس فظنت جوهرة من الزجاج ولم تعلم انه حجر نفيس ، وان مدينة القاهرة مضطربة له اشد الاضطراب ، وان قيمته تربى على الف من الجنيهات . وكنا نتحدث عن هذا الدبوس الذى افتقدته صاحبته فلم تجده ، فارتاعت لفقده وهمت وهم أصحابها أن يقولوا قصة كقصة الخاتم ، ولكن شابا لم يلبث أن التقطه فرده الى صاحبته ، فلم يضطرب رجال الامن ولم يحتج رجال التحقيق الى النشاط ، ولم تزد الصحف على أن روت الخبر رواية يسيرة قصيرة فى مكان غير ظاهر ولا ممتاز . وكنا نقارن بين قصة الخاتم وقصة الدبوس وبين حظ الخاتم وحظ الدبوس . وكنت أقول لاصدقائى وهم يتسمون ويضحكون ويتفلسفون : على رسلكم أيها السادة ، فلو قد سألتم ذلك الخاتم أو هذا الدبوس عما يعرفان من التاريخ ، ولو قد أراد الخاتم وأراد الدبوس أن يقصا عليكم بعض ما يعرفان لما ابتسمتم ولا ضحكتم ولا أغرقتم فى الفلسفة هذا الاغراق . فليست قيمة الخاتم والدبوس فى هذه الجنيهات التى تربى على الالف أو تبلغ المئات فحسب ، ولكن قيمتهما فيما يحملان من ذكرى وما يصوران من حياة ، وفى هذه الصلة التى تصل بينهما وبين القلوب والنفوس . قال صديق ما كر : حدثنا اذن عن خاتمك الذى فقدته ، فقد يظهر أنك فقدت خاتما أيضا وان أمره قد ارتفع الى رجال الشرطة ثم هبط الى الصحف ثم ذاع بين الناس . قلت وانك لتحدث عن هذا الخاتم هازلا كأنما تغض من أمره وتزدريه ، فهل تعلم انى حزنت عليه حزنا شديدا ! وهل تعلم انه ليس أقل خطرا ولعله أعظم خطرا عندى من ذلك الخاتم وهذا الدبوس ؟ وهل تعلم انه يمتاز من ذلك الخاتم وهذا الدبوس بأن له فى الحياة المصرية العامة أثرا باقية ، به أصبح قوم دكاترة . وبه أدرك قوم آخرون اجازة الليسانس ، وبه صرف كثير من امور الدولة ، وقضى فى مصالح كثير من الاساتذة والطلاب أعواما ، فحدثنى أين يقع من هذا كله اثر ذلك الخاتم وهذا الدبوس فى حياة المصريين ؟ ومع ذلك فلم تبلغ قيمته ألفا ولا مائة ، ولا عشرة من الجنيهات ، استغفر الله ، بل لم تبلغ قيمته عشره من القروش ، وانما كانت قيمته قرشا ونصف قرش ليس غير ، اتخذته حين كانت الاشياء رخيصة ، فى ذلك الزمن ، الذى كنا نستطيع أن نبلغ فيه بالقرش كثيرا من المآرب والحاجات ، اتخذته فى باب الخلق ، وأنا خارج ذات يوم من دار الكتب ، وكنت فى الرابعة والعشرين من العمر ، وكنت أريد أن أسافر الى أوربا ، وأظهر لى هذا السفر أنى شخص من الاشخاص ، يجب أن أذكر مولدى ، وأعرف سنى ، وأقدر ما آتى من الاعمال ، فى ذلك الوقت بحثت عن شهادة الميلاد وكانت ضائعة ، فعرفت سنى وكنت أجهلها ، وفى ذلك الوقت قيل لى إن من أتى عملا أو قال قولا وجب عليه أن يمضيه ، فاتخذت هذا الخاتم ، صنعه لى رجل كان يصنع الخواتم قريبا من المحافظة ، ثم عبر معى البحر ، وصحبنى فى فرنسا طالبا ، وصحبنى فى الجامعة استاذا ، عمل معى فى أعمال الدولة ، وامضى معى عن امور الدولة ، وكان صديقا أمينا ، لست أدرى ، كيف قبلت فراقه حينا ، وائتمنت عليه صاحبى ، حتى أقبل ذات يوم ينبئنى أنه افتقده فلم يجده ، هنالك ضقت به وضقت بالناس ، وضقت بالحياة كلها وتناثر قصير ، ثم زعم لى زاعم أن الامر يجب أن يرفع الى الشرطة فرفع اليها ، وهبط الى الصحف ، ولكن الشرطة تلقت أمره باسمة ، ولكن الصحف نشرت امره مداعبة ، ولمن الاصدقاء تحدثوا عنه مازحين ، أفرأيت ان قيم الاشياء تختلف لا باختلاف آثارها ، ومكاناتها ولكن باختلاف اصحابها ، فلو كنت رئيس الوزراء ، لما ابتسم الشرطى ، ولما داعبت الصحف لانى فقدت خاتما ، ولكنى لست رئيس الوزراء ، فيبسم الشرطى ، ولا يأتى حركة وتداعب الصحف ، وتمزح انت وتمزح انا بهذا وأمثاله ، كنا نتحدث ايام العيد ؟

طه حسين